مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
Anbar University Journal Of Islamic Sciences
P. ISSN: 2071-6028 E. ISSN: 2706-8722
Volume 13- Issue 4- December 2022 | المجلد ١٣- العدد ٤ - كانون الاول ٢٠٢٢

الموصوفون بالعمى في القرآن الكريم دراسة موضوعية

١- السيدة مروة بشير شهاب
جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية

٢- أ.م.د. هاشم رجب عبد الحكيم
جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية

١- الإيميل:
Marwah.shaab@uoanbar.edu.iq
٢- الإيميل:
isl.hashimr@uoanbar.edu.iq

DOI: 10.34278/aujis.2022.176028

تاريخ استلام البحث: ٦/ ٩/ ٢٠٢١م
تاريخ قبول البحث للنشر: ١/ ١١/ ٢٠٢١م
تاريخ نشر البحث: ١/ ١٢/ ٢٠٢٢م

الكلمات المفتاحية:
العمى، التفسير، العمى الحسي والمعنوي

©Authors, 2022, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص

يهدف البحث إلى بيان سبب وصف بعض الناس بالعمى في القرآن الكريم ، وما هو نوع العمى الذي حلّ بهم، فكان محور عملي في هذا البحث جمع الآيات القرآنية التي ذكرت في مصطلح العمى ، ثم جمعت كل آية من هذه الآيات إلى ما يشابهها للقوم الذين وجهت إليهم، ثم بينت المنهج الموضوعي في استعمال هذا المصطلح، وكيفية التعامل معه في السياق القرآني، والمواطن والأصناف المستحقة لوصف العمى، كما بينت في هذا البحث أنواع العمى وكيف يكون مادياً وفي بعض الأحيان معنوياً.

THOSE WHO ARE DESCRIBED AS BLIND IN THE HOLY QUR'AN AN OBJECTIVE STUDY

[1] **Mrs. Marwa Bashir Shihab**
University of Anbar - College of Islamic Sciences

[2] **Prof. Dr. Hashem Rajab Abdul-Hakim**
University of Anbar - College of Islamic Sciences

Abstract:

The research aims to explain why these types of people are described as blind. And what kind of blindness has befallen them? The focus of this study is to collect the Qur'anic verses mentioned in the term "blindness" in the Holy Qur'an. Then I added each of these verses to something similar in terms of the type of people they were addressed to. It was clear from my study the objective approach to the use of this term, and how to deal with it in the Qur'anic context. It also showed the places and categories worthy of describing "blindness". The study showed the types of blindness, and how it is material and sometimes moral.

1: Email:
Marwah.shaab@uoanbar.edu.iq
2: Email
isl.hashimr@uoanbar.edu.iq

DOI: 10.34278/aujis.2022.176028

Submitted:	**6 /9 /2021**
Accepted:	**1 /11 /2021**
Published:	**1/12/2022**

Keywords:
blindness, interpretation, sensory and moral blindness

©Authors, 2022, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

يتوجّه الخطاب القرآنيّ إلى ذوي العقول ويدعوهم إلى التفكّر وإعمال العقل من أجل بناء نفس بشريّة متوازنة توازناً إيمانيًّا واعيًا، فيعبدون الله على معرفة وتلك أكمل العبادات، لذلك تكثر الآيات القرآنيّة الداعية لذلك. وقد خاطب الله ﷻ المجتمع بعدّة خطابات، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، في كل هذه النداءات من الله ﷻ للإنسان يريد منه أن لا يدخل في دائرة العمى التي فيها ضياع الإنسان؛ فلهذا نجد أنّ القرآن الكريم ذكر حالات كثيرة من العمى التي تصيب الإنسان كعمى القلوب، وعمى الأبصار، والعمى في الدنيا، والعمى في الآخرة، وعلى هذا الذي جاء عنون بحثي «الموصفون بالعمى في القرآن الكريم».

اما عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له فلامور اهما:

١. أنّ القرآن يدعو إلى النظر والتبصر والتفكر في آيات الله ﷻ، ويذم العمى وأسبابه ودواعيه.
٢. يرشدُ هذا الموضوع إلى دلائل الحق المادية والمعنوية، ويبين ما يجلبُه العمى من ضلال عن مسالك الرشاد ومقاصده.
٣. بيان ما يشتمل عليه العمى من ضلال عن محاسن الإسلام ومراميه.
٤. معرفة أن كل سبل المعاصي والانحرافات الفكرية والسلوكية ناشئة من عدم الاستصبار وجهالة رؤية الحق.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

وبحسب ما هو موضح: **المبحث الأول**: الموصفون بالعمى في الدنياوفيه سبعة مطالب. **المبحث الثاني**: الموصفون بالعمى في الأخرة وفيه خمسة مطالب. **والخاتمة** التي أوردت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول:
الموصفون بالعمى في الدنيا

الشواهد القرآنية التي ذكرت آيات العمى جاءت في ثلاثة عشر موضعًا في القرآن الكريم ولم تكن ألفاظها تعطي معنى الأعمى الذي لا يبصر وإنما تتحدث عن عمى القلب الذي لا يرى حقيقة الإيمان، فالقلب البصير يعبد الله عبادة حقيقية، في كل موضع يقترن فيه الأعمى والبصير ترى أنه يقصد به العمى المعنوي؛ عمى البصيرة، ولو كان لا يرى ببصره فقد يرى بقلبه [١].

المطلب الأول:
الذين لم يتبعوا الهدى

إنّ الذين لم يتبعوا سبيل الهدى قد بينوا هدفهم وغايتهم الإنسان، وأعدوا مناهجهم الفكرية والعملية لمعالجة شؤونه، فقد عالجوا من الإنسان القشرة دون اللب، وعمدوا إلى جانب معين منه، فتعمدوا إبرازه على غيره وإظهاره على ما سواه، فنما ذلك الجانب نمواً غير متكافئ على حساب ضمور الجوانب الأخرى ضموراً غير طبيعي؛ وأدى ذلك بالضرورة إلى خلق جو من المشكلات النفسية والصراعات الاجتماعية المتجددة والمستمرة، للذي يوجد في داخل الفرد وبين طبقات المجتمع من عوامل التمزق التي تفتت فيهما كل دعائم التوافق والانسجام، من هنا جاء تفسير بعض الباحثين لمعنى محدودية الرسالات السابقة[٢].

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

وان عدم اتباعهم للهدى سببه اتباع الهوى، فيكون في عدم الاتباع الإضلال بغير علم، فيكون في عتمة الظلم الواقع على نفسه.

---

(١) ينظر: المواضع التي ذكر بها العمى في القرآن الكريم، سلمان بن فهد العودة، د.ت: ص١.
https://www.salmanalodah.com/main/20281-3

(٢) ينظر: الهداية النفسية، في ظل القرآن الكريم، د. طه ياسين كاظم الدليمي د. ت:١١.

(٣) سورة القصص، الآية ٥٠.

فإن لم يستجيبوا لدعوتك وإلى الإتيان بالكتاب الأهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا أنفسهم الحجة ولم تبق لهم حجة، وأنهم بذلك اتبعوا أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالاً ممن اتبع هواه في الدين بغير هدى من الله، إن الله لا يوفق من ظلم نفسه باتباع الباطل دون أن ينشد حقاً(١).

وقد بين الله تعالى خطورة الآخرين الذي يحاولون الهيمنة على المجتمعات في العالم، ومنهم اليهود الذين يحاولون طمس الهدى ومعالمه في إضلال الناس، فقد جاء في القرآن ذكر مقولتهم التي تدل على استماتتهم لمسح العقول، إذ قالوا على الله بالباطل لتأكيد مذهبهم الفاسد في الخضوع، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٢).

"وكأنه كان في الأصل اسم مدح لمن تاب منه، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لجماعتهم كالعلم لهم، وجعل قولهم ذلك أماني من حيث أن الأمنية مقال منيعة عن تقدير، فيستعمل تارة في التقدير حقاً كان أو باطلاً على ذلك، حتى بين ما تمنى لك الأماني، وتارة في المقال، وقوله: ﴿لَن يَدْخُلَ﴾كلام "ملفوف"، وتقديره: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا النصارى، فأجمل اكتفاء بعلم السامع أن يرد كلا إلي ما يقتضيه ونحوه في الإجمال"(٣).

"والفريقان من أهل الكتاب لاتباع الهدى كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، أي لم يكفهم ارتكابهم للباطل وسلوكهم طرق الضلال، حتى دعوا إلى ما هم عليه، ووعدوا بالهداية الصائرة إليه، فأمره تعالى بأن يجيبهم أنه مستن بسنة أبيهم، لا يحول عنها كما حالوا، فقال موجهاً الخطاب إلى أشرف خلقه، لعلو مقام ما يخبر به

(١) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ٥٨٣/١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب/ جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ٢٩٣/١.

وصعوبة التقيد به على النفس: قل بل مضرباً عن مقالهم، أي لا يكون شيئاً مما ذكرتم، بل نكون أو نلابس أنا ومن لحق بي من كمل أهل الإسلام ملة إبراهيم ملابسة، نصير بها إياها كأننا تجسدنا منها، وهو كناية عن عدم الانفكاك عنها، فهو أبلغ مما لو قيل: بل أهل ملة إبراهيم"(١)

فقد بين الله تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه ، وقد ادعت كل طائفة منهم أنه لا يدخل الجنة إلا من كان على ملته بغير علم، وهم كانوا يعلمون: أنهم إنما يتبعون في عبادة الأصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام –إذ لا يؤمنون برسول حتى يكون لهم كتاب، فهم قد اتبعوا الأهواء بغير علم، فإن لم يتبع المسلم الهدى يكون أعمى البصيرة أو القلب فلا يرى الحق فيتبعهُ فيكون بغير علم(٢).

المطلب الثاني:
الذين لم يتفكروا ويتدبروا في خلق السماوات والأرض

عند نزول القرآن كان الإنسان يبصر أمام ناظريه فيرى الأرض ممتدة بصحرائها الواسعة، ويرى فيها أشجارًا ونخيلًا وإبلًا، فإذا رفع نظره إلى السماء نهاراً فإنّه يرى شمساً كبيرة شديدة الضوء واللمعان، وإن أبصر في السماء ليلاً فلا يرى فيها سوى القمر وبعض النقاط الصغيرة المضيئة، وهي النجوم وقد أمره الله ﷻ بأن يقلّب نظره فيها؛ ليتعرف إلى عظمة الخالق وقدرته، وإلى جميل الإتقان في الخلق، ويرى ذلك بعينيه المجردتين وإعمال فكره، وقد وعده الله ﷻ أن يُريه في المستقبل آياته في الآفاق وفي نفسه وهذه الآيات لم تكن معروفة زمن التنزيل، ففيها تكمن أسرار الخلق وقدرة الخالق العظيمة(٣).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٢٥٣/١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١٥٥/١.

(٣) ينظر: صورة السماء والأرض في القرآن الكريم «دراسة بلاغية»، نوال علي عبدالرحمن خضر، «رسالة ماجستير»، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، ٢٠١١م: ص٦١.

إن إعجاز القرآن في الإشارات العديدة إلى الكون ومكوناته وجميع أحواله تدل في كثير من آياته إلى الكون والسموات، والأرض، وما بكلّ منهما من صور وظواهر، والإشارات الكونية في الآيات القرآنية التي لم يصل إليها علم الإنسان وصولًا شاملًا، والإشارات الكونية في القرآن الكريم جاءت في أكثر من ألف آية صريحة، فضلا عن آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة، وتشكلّ هذه الآيات الكونية حوالي سدس مجموع آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(١).

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إنما جمع السموات وأفرد الأرض، لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، تعاقبهما كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾(٢). ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾(٣)، أي: بنفعهم، أو بالذي ينفعهم، والقصد به إلى الاستدلال بالبحر وأحواله، وتخصيص الْفُلْكِ بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه، ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب، لأن منشأهما البحر في غالب الأمر، وتأنيث الْفُلْكِ لأنه بمعنى السفينة"(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٩٠-١٩٤.

(٢)سورة الفرقان الآية ٦٢.

(٣)سورة البقرة الآية ١٦٤ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ١١٦/١.

إن الناظر في هذه المخلوقات التي أبدع في صنعها يثمر نظره إيماناً راسخاً لا يتزحزح ويتثبت من ثمرة نظره اتباعًا للرسل واستجابةً لما يريد الله ورسوله ﷺ.

المطلب الثالث:

الذين لم يكونوا من عباد الرحمن

بعد أن بين القرآن الكريم الآيات التي تتحدث عن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها عباد الرحمن للدلالة على سموها ورفعتها أتبعها بالحديث عن الآيات التي تنفي صفات السلب وتنفي عنهم الأخلاق الذميمة، فبدأ صدر الآيات بإثبات صفات التحلي تشريفًا لها ثم أعقبها بصفات التخلي إبعادًا لها(١).

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾(٢).

فعباد الرحمن لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق؛ لأن هذا الدين رباهم على الخير والنماء ومنعهم من إراقة الدماء بغير حق، تِلْكَ الصِّفَات المذكورة أعلاه قَدْ يَكُونُ صاحبها مُتَمَسِّكًا بِالشِّرْكِ تَدَيُّنًا وَمُقْدِمًا عَلَى القَتْلِ تَدَيُّنًا وَعَلَى فعل الزِّنَا تَدَيُّنًا، فَبَيَّنَ جلّ جلاله ذلك بيانًا شافيًا أَنَّ الْمَرْءَ لَا يصبحُ بِتِلْكَ الْخِصَالِ وَحْدَهَا مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى يُضَافَ إِلَى كَوْنُهُ مُجَانِبًا لِهَذِهِ الْكَبَائِرِ.

وَأَجَابَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّه مِنْ وَجْهٍ آخَرَ فَقَالَ: الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ التَّنْبِيهُ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ سِيرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسِيرَةِ الْكُفَّارِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَرَ وَأَنْتُمْ تَدْعُونَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ الْمَوْءُودَةَ، وَلا يَزْنُونَ وَأَنْتُم تَزنُونَ(٣).

ومعنى قوله تعالى: ﴿يَزۡنُونَ﴾أي: لا يطؤون فرجاً محرماً عليهم وفي نفي الشرك والقتل والزنا بالأفعال المضارعة "لا يدعون، ولا يقتلون، ولا يزنون" ما يدل على نفيها عنهم بالحال والاستقبال فمنذ أن دخلوا في صفوف عباد الرحمن فهم

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٧٤/١٣.

(٢) سورة الفرقان، الآيات ٦٨-٦٩.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي: ٤٨٣/٢٤.

مبتعدون عن هذه الأفعال في الحال وفي مستقبل الزمان وانظر إلى جمال التقديم والتأخير فيها؛ فبدأ أولا بدعاء غير الله وهو الشرك فالجريمة الأولى عدوان على الله، وثنى بالقتل وهو عدوان على الإنسانية بإزهاق الروح، ثم أتبعها بالزنا وهو عدوان على الحقوق وانتهاك للأعراض، وفي نهاية المطاف الذي لم يلتزم بهذه الصفات التي تحلى بها عباد الرحمن من المشي هوناً وهم في جوابهم للجاهلين يقولون سلاما، ومن صفاتهم لا يقتلون ولا يزنون، وكل هذه الصفات من يتصف بضدها يصاب بالعمى الذي من أسبابه الابتعاد عن طريق الله ﷻ يضاعف له العذاب والنتيجة مهانة وذلة وهي من أسباب العمى في الدنيا والآخرة(١).

المطلب الرابع:
الذين لم يكونوا من أولى الألباب

لا شك أن التفكير الصحيح هو التفكير الذي يؤدي إلى نتائج إيجابية وهي ثمرة التفكير الهادف الذي أمر به أولى الألباب لتصل هذه النتائج إلى إصلاح حياة الفرد وحياة الجماعة، وهذا التفكير لا يحدث إلا إذا قام الفرد بتوجيه انتباهه توجيها مقصوداً نحو الموضوع الذي يريد أن يفكر فيه وإلا سيقع في الغفلة التي نهى الله عنها ووصف بها(٢)، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٣).

يفهم المراد منه ويحفظ آدابه وشرائعه وموعظة أولى العقول السليمة الراجحة إلى الله ﷻ في المشكلات، وهم الذين صحت عقولهم عن سكر الغفلة وأمارة من كان كذلك أن يكون نظره بالحق فإذا نظر من الحقّ إلى الحقّ استقام نظره، وإذا نظر من الخلق إلى الحق انتكست نعمته، وانقلبت أفكاره مورّثة للشبهة.

---

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ: ١٠٩/١٩.

(٢) ينظر: التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، إعداد، عبد الوهاب محمود إبراهيم، «رسالة ماجستير»، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩م: ص٨٤.

(٣) سورة الرعد، الآية ١٩.

وهم أهل الخلوات، والأرواح الغالبة على الأبدان وهم قليل[١]، فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالموضوعية والتجرد من العاطفة عند الحكم؛ أي لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين وعداوتهم على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل من قذف، وقتل نساء، ونقض عهد، فإذا كان وجوب العدل بحق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين [٢].

ولا يمكن لأهل الهوى أن يكونوا من أولى الالباب، وذلك لأن الهوى يتحكم بصاحبه ويملك عليه عقله وقلبه فلا يرى إلا ما يهوى ويحقق رغباته المادية ويصور القرآن لنا ذلك [٣]،كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤].

فقد ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر بالآيات ولا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار، أي كما لو أنه أعمى لأن الذي يبصر ولا يُحِّكمُ عقله أي ليس من أولي الألباب كأنما أعمى لا يرى الحق فيتبعه[٥].

---

(١) ينظر: تفسير السلمي «حقائق التفسير»، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ)، تح: سيد عمران، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م: ١٨٥/٢، لطائف الإشارات «تفسير القشيري»، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣: ٣٠٤/١، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٥٧٩/٢.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٦٦٢/١.

(٣) ينظر: تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت١١٣٧ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت: ٤٤٨/٨.

(٤) سورة الجاثية، الآية ٢٣.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ١٠٨/٥.

المطلب الخامس:
الذين تعلقوا في الأشخاص لا المنهج

تعلق الناس بذوات الأشخاص ليس منهجًا ربانيًا، ولا سنة نبوية، ولا هديًا إيمانيًا، فالأشخاص يمرضون ويموتون، ويهرمون ويتغيرون، ويُفْتَنُونَ وَيُبَدِّلُون ويَتْبُتون ويُحْسِنُون، فالغيب مجهول، والخاتمة لا تُعلم؛ فالتعلق بالأشخاص والتعصب لهم من الأمراض الفتاكة بالأفراد والمجتمعات، والتعلق بالأشخاص مدخل عظيم من مداخل الشرك، وتبديل الدين، وقد كانت تربية الأنبياء عليهم السلام لأتباعهم على أساس تعليقهم بربهم ﷻ لأنهم عليهم السلام يعلمون أنهم سيموتون، وسيبقى أتباعهم بعدهم، فجعلوا لهم منهجًا يسيرون عليه، وسننًا ينهجونها في حياتهم، مقتدين بهم في أعمالهم، متبعين لسننهم(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٢).

"وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَة أَنَّكُمْ سَتُنْقَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّار لَا مَحَالَة وَسَتَجْتَمِعُونَ عِنْد اللَّه تَعَالَى فِي الدَّار الْآخِرَة وَتَخْتَصِمُونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ التَّوْحِيد وَالشِّرْك بَيْن يَدَيْ اللَّه ﷻ فَيَفْصِل بَيْنكُمْ وَيَفْتَح بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاح الْعَلِيم فَيُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُوَحِّدِينَ وَيُعَذِّب الْكَافِرِينَ الْجَاحِدِينَ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَة وَإِنْ كَانَ سِيَاقهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ وَذِكْر الْخُصُومَة بَيْنهمْ فِي الدَّار الْآخِرَة فَإِنَّهَا شَامِلَة لِكُلِّ مُتَنَازِعَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ تُعَاد عَلَيْهِمْ الْخُصُومَة فِي الدَّار الْآخِرَة"(٣).

---

(١) ينظر: لا لِلتَّعلُّق بالأشخاصِ، د. ظافرُ بنُ حسنٍ آلُ جَبْعانَ، د.ت. : ص١.
https://ar.islamway.net/article

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٩٦/٧.

المطلب السادس:
الذين اعتمدوا على التقليد الأعمى

إنّ المقصود بالتقليد الأعمى ما سلكه المسلمون –من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص– من اتباع الكفار، والأخذ منهم، والتشبه بهم، في شتى ألوان الحياة وأنماط السلوك والأخلاق، وأشكال الإنتاج، في الاعتقاد والتصور والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفن والثقافة والنظم والتشريع، من غير اعتبار للعقيدة والشريعة الإسلامية والأخلاق الفاضلة، ومن غير إلزام للمنهج الإسلامي الأصيل(١).

فعندما ينتشر الجهل بأنواعه؛ يصبح التقليد تابعًا له؛ لأن الجاهل بالمسألة كالإناء الفارغ، يستقبل ما يلقى فيه، فيتبع ويقلد؛ كي يملأ فراغه.

ولقد وجد في التاريخ البشري من جهل حقيقة التوحيد، فعبد غير الله ﷻ، ووجد من جهل حقيقة النبوة وما بعثت به، فراح يجادلها، ووجد من المسلمين من جهل دينه فراح يخلط بينه وبين الأديان الأخرى، ومن المسلمين من جهل حضارة الغرب المفسدة، وجهل عظمة دينه وحقيقته، فترك مبادئ إسلامه، ليقلد ما تم استيراده من الغرب وخاصة في مجال الغث دون السمين(٢).

وكثير من الآفات الفكرية التي تطرأ على العقل إنما هي نتاجُ تقليدٍ أعمى، وذلك لأنه تقليد على غير هدى، فهو قبولٌ بلا حجة وليس ذلك طريقاً إلى العلم لا في الأصول ولا في الفروع(٣)، والمقصود بالتقليد الأعمى بالنسبة للمسلم: ما يسلكه الفرد المسلم ويتبع –من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص– الكفار ويأخذ منهم الغث قبل السمين، ويتشبه بهم في حياتهم وسلوكهم وأخلاقهم، وأشكال الإنتاج، في الاعتقاد

---

(١) ينظر: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر عبد الكريم العقل،السعودية، الرياض، ١٣٩٤ه–٢٠١٠م: ص٥٦.

(٢) ينظر: ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم، إعداد: جمال سعد أحمد إبراهيم، «رسالة الماجستير» بكلية الدراسات العليا/ جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٠م: ص١٩.

(٣) ينظر: المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥ه)، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ه–١٩٩٧م: ٤٦٢/٢.

والتصور والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفن والثقافة والنظم والتشريع، دون أي اعتبارٍ لعقيدته الإسلامية التي يدين بها وأخلاقها الفاضلة، ومن غير إلزامٍ للمنهج الإسلامي الأصيل(١).

والتقليد الأعمى المذموم على أنواع؛ منها:

١- الإعراض عما أنزل الله، وعدم الالتفات إليه اكتفاءً بتقليد الآباء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٢).

"أي: وجدنا وأدركنا أو علمنا، وألفى تتعدّى إلى مفعولين وهما قوله عليه آباءنا من عبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب، فإنهم كانوا خيراً وأعلم منا قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ﴾، أي: أيتبعونهم ولو كان ﴿آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾، أي: من أمر الدين لا شيئاً مطلقاً، فإنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا، فلفظه عام ومعناه الخصوص ولا يهتدون أي: الحق والهمزة للإنكار والواو للحال أو العطف وجواب لو محذوف أي: لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم"(٣).

٢- تقليد قول من عارض قول الله ورسوله ﷺ كائناً من كان ذلك المعارض، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٤).

---

(١) ينظر: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر عبدالكريم العقل، السعودية، الرياض، ١٣٩٣ه-١٣٩٤ه: ٥٦/١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

(٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥هـ، ١١٢/١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٣.

٣- تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ أي: لا تَتَّبِعْ، مِنْ قفاه يقْفوه إذا تتبَّع أثرَه[١]: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٢].

٤- تقليد المجتهد القادر على الاجتهاد مع اتساع الوقت وعدم الحاجة.

٥- تقليد مجتهدٍ واحدٍ بعينه في جميع اجتهاداته.

والتقليد الأعمى له صلة قوية بنشأة الشخص وبيئته وأسرته، لذا كان سبب صدودهم هو: تقديسهم لتراث أسلافهم وبالتالي فله مكانة في العاطفة أكثر من وجوده في العقل والنطق السليم والقرآن يدعونا الى التفكير بتجرد وتعقل ورؤية بعيداً عن تأثير العاطفة، التي تمكن من التَّرَاجُعِ مَعَ الِاخْتِلَافِ عن بعض تصوراته المبنية على الرواسب الفكرية وما صنعه الآباء والأجداد[٣].

والتقاليد الذي ينتشر بين أفراده حتى تُصبح سلوكاً يكادون يتفقون عليه وقانونا يُحَكِّمونه في مختلف شؤون ومجريات حياتهم العامة والخاصة في معظم الأحيان إن لم تكن كلها.

إن نظرة عاجلة لواقعنا اليوم تظهر لنا مدى انتشار الأعراف والتقاليد الاجتماعية الفاسدة والمنحرفة عن دين الله ﷻ وشرعه، لهذا تجدها قد دخلت ميادين عديدة في حياة المسلمين حتى ألفها الناس، وذهب بعضهم إلى الدفاع عنها.

---

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق: ٣٥١/٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٣) ينظر: الذخيرة، شهاب الدين بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، ط١، دار الغرب، بيروت: ٨/١.

ولا بدّ من الإشارة أنه ليس المهم بنا أن نسرد كل العادات والتقاليد؛ لأنها عديدة ومتنوعة تتعدى طاقاتنا وطاقات هذه الأوراق، ولكن لا يسعنا القول أنها مست كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والفكرية(١).

وقال تعالى في نبذ التقليد الأعمى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٢)، إنّ قوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، ونظيرها(٣): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

وهذه الآية والتي قبلها مرتبطة بما قبلهما، وذلك أن اللّه ﷻ أخبر عن جهالة العرب فيما تحكمت فيه بآرائها السفيهة في البحيرة(٤)، والسائبة (٥)، والوصيلة(٦)، فاحتجوا بأنه أمر وجدوا عليه آباءهم فاتبعوهم في ذلك، وتركوا ما أنزل اللّه ﷻ على رسوله ﷺ وأمر به في دينه فالضمير في "لهم" عائد عليهم في الآيتين جميعا وتعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم اللّه

(١) ينظر: إشكالية التقليد الأعمى في الواقع المعاصر وعلاجها في القرآن الكريم، نجلاء مولود عبدالله، كلية الآداب الجامعة العراقية: ص٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٠.

(٣) ينظر: محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٢٢٤/١.

(٤) البحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن. والخامس ذكر بحروه فأكله الرجال والنساء. وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها، أي: شقّوها. وكانت حرامًا على النساء، لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلت للنساء ،ينظر: لسان العرب ،ابن منظور:٤٣/٤.

(٥) والسّائبة: البعير يسيّب بنذر يكون على الرجل إن سلّمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك،،ينظر ،مختار الصحاح، الرازي: ١٣٦.

(٦) والوصيلة: من الغنم. كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا: فإن كان السابع ذكرًا ذبح. فأكل منه الرجال والنساء **وإن ماتت الأنثى اشتركوا في أكلها وان ولد مع الميتة ذكر حي اتصلت وكانت للرجال دون النساء ويسمونها الوصيلة**. ينظر :العين ،الفراهيدي:٢٢٠/٣

تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل، واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية[١].

إن التقليد ليس مذمومًا بالإجمال، المذموم منه ما كان في الباطل، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر والتقليد عند العلماء حقيقته قبول قول بلا حجة، وعلى هذا فمن قبل قول النبي ﷺ من غير نظر في معجزته يكون مقلداً، وأما من نظر فيها فلا يكون مقلداً[٢]. والكلام فيه إشعار بأن عوائد الآباء منهية حتى يشهد لها شاهد أبوة الدين ففيه التحذير في رتب ما بين حال الكفر إلى أدنى الفتنة التي شأن الناس أن يتبعوا فيها عوائد آبائهم[٣]، "أي وجدناهم عليه إما على أن الظرفَ متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من آباءَنا وألفَيْنا متعدَ إلى واحد وإما على أنه مفعولٌ ثانٍ له مقدمٌ على الأول نزلت في المشركين أُمروا باتباع القرآنِ وسائرِ ما أنزل الله تعالى من الحجج الظاهرةِ والبينات الباهرةِ فجنحوا للتقليد والموصولُ إما عبارةٌ عمَّا سبقَ من اتخاذ الأندادِ وتحريمِ الطيبات ونحوِ ذلك، وإما باقٍ على عمومه وما ذكره داخلٌ فيه دخولا أوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسولُ الله ﷺ، فقالوا بَلْ نتبعُ مَا وجدْنا عليه آباءَنا لأنهم كانوا خيراً منا وأعلم فعلى هذا يعُمّ ما أنزل الله تعالى التوراةَ لأنها أيضاً تدعو إلى الإسلام".[٤]، "ويعلم منه حال رجوع الضمير الى المجموع أي أولئك المجادلين وآباؤهم إلى عَذابِ السَّعيرِ أي إلى ما يؤول إليه أو يستبب منه من الإشراك وإنكار شمول قدرته ﷻ على البعث ونحو ذلك من الضلالات وجوز بقاء عَذابِ السَّعيرِ على حقيقته

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢/٢١١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/٢١١.
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ١/٣١٢.
(٤) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/١٨٨.

والاستفهام للإنكار ويفهم التعجب من السياق ويفهم الإنكار من السياق والواو حالية والمعنى أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب، وجوز كون الواو عاطفة على مقدر أي أيتبعونهم لو لم يكن الشيطان يدعوهم الى العذاب ولو كان يدعوهم إليه، وهما قولان مشهوران في الواو الداخلة على لَوْ الوصلية ونحوها، وكذا في احتياجها إلى الجواب قولان قول بالاحتياج وقول بعدمه لانسلاخها عن معنى الشرط، ومن ذهب إلى الأول قدره هنا لا يتبعوهم وهم مما لا غبار عليه على تقدير كون الواو عاطفة، وأما على تقدير كونها حالية فزعم بعضهم أنه لا يتسنى وفيه نظر، وقد مرّ الكلام على نحو هذه الآية الكريمة فتذكر"[١].

وأن الخلق جهلوا أغراض سلفهم في تلك الصور فعبدوها، قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله ﷻ عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها[٢]، وفي قوله تعالى:﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[٣]، أي أنّهم لا حجة لهم في عبادتهم الأصنام إلا تقليدهم لآبائهم، وذلك ما يقولونه عند المحاجة فهم لا يرون الحقَّ فيعملون به؛ إذ لا يرون حجة لهم غير ذلك. فالقلب إذا عمي عن رؤية الحق ابتعدت عنه أنوار الهداية[٤].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ٩٣/١١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٥٨/٢.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٢٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٧٨/٢٥.

المطلب السابع:
الذين لم يكن اتباعهم على بصيرة

ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم صنفين من هؤلاء وهما:

١- الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون.

٢- المؤمنون ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم، فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن، ثم جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه، فشبه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء وسمعه أصم عن استماع الأصوات، والفريق الآخر بصير القلب سميعه بصير العين سميع الأذن[١]، تأمل حال من عدم البصر وما يناله من الخلل في أموره؛ فإنه لا يعرف موضع قدمه، ولا يبصر ما بين يديه، ولا يفرق بين الألوان والمناظر الحسنة من القبيحة، ولا يتمكن من استفادة علم من كتاب يقرؤه، ولا يتهيأ له الاعتبار والنظر في عجائب ملك الله، هذا مع أنه لا يشعر بكثير من مصالحه ومضاره؛ فلا يشعر بحفرة يهوي فيها، ولا بحيوان يقصده كالسبع فيتحرز له، ولا بعدو يهوي نحوه ليقتله، ولا يتمكن من الهرب إن طلب، بل هو ملقي السلم لمن رامه بأذى، ولولا حفظ خاص من الله له قريب من حفظ الوليد وكلائته[٢]؛ لكان عطبه أقرب من سلامته؛ فإنه بمنزله لحم على وضم، ولذلك جعل الله ثوابه إذا صبر واحتسب الجنة[٣]، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٤].

---

(١) ينظر: آراء ابن القيم حول الإعاقة، إعداد، عبد الإله بن عثمان الشايع، دار الأصمعي: ١٩/١.

(٢)**وهو الذاهب في كنف الله وحفظه وحرزه وحرسه وحمايته ورحمته وبره اي تمثيل لجعله تحت ظل رحمته يوم القيامة** ،ينظر :لسان العرب ،لابن منظور :٣٠٨/٩،معجم اللغة العربية المعاصرة ،احمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤ه)عالم كتب،ط١، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م:١٩٤٨/٣

(٣) ينظر: آراء ابن القيم حول الإعاقة، الشايع الأصمعي: ٢٠.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

"قلْ هذِهِ سَبِيلِي يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله: أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ وقيل هو حال من الياء. عَلى بَصِيرَةٍ بيان وحجة واضحة غير عمياء. أَنَا تأكيد للمستتر في أَدْعُوا أو عَلى بَصِيرَةٍ لأنه حال منه أو مبتدأ خبره عَلى بَصِيرَةٍ. وَمَنِ اتَّبَعَنِي عطف عليه. وَسُبْحانَ اللَّهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وأنزهه تنزيهاً من الشركاء"(١)، والبَصَائِرُ: جمع «بَصِيرَة» وهي الدلالة التي توجب إبصار النفوس للشيء ومنه قيل للدَّمِ الدال على القتيل «مبصرة» والبصيرة مُخْتَصَّةٌ بالقلب كالبَصَرِ للعين، هذا قول بعضهم، والناظر إلى حال الأمم السالفة التي تبعت الرسل ببصيرة القلب كانت العاقبة لهم مع قلتهم(٢).

المبحث الثاني:
الموصفون بالعمى في الأخرة
المطلب الأول:
الذين خَفَيتْ عليهِم الحُجَجْ

تحدث القرآن الكريم في آياته عن العمى في الآخرة، قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾(٣)، فخفي عليهم ما يحتجون به فلم يذكروا شيئًا، ولا يسأل بعضهم بعضًا؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنهم صائرون إليه من العذاب(٤).

فعَمِيت الرحمة عليكم فلم تهتدوا لها، فتقرّوا بها، وتصدّقوا رسولكم عليها، وذلك أن الإنسان هو الذي يعمى عن إبصار الحق، إذ يعمى عن إبصاره، و"الحق" لا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ١٧٨/٣.
(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، الدمشقي النعماني: ٣٥٣/٨.
(٣) سورة القصص، الآية ٦٦.
(٤) ينظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ١٤٣٦هـ: ٣٩٣/١.

يوصف بالعمى، إلا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام. وهو في جوازه لاستعمال العرب إياه(١).

"وَمعنى فَعَمِيَتْ خَفِيَتْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ عَمَى الْبَصَرِ لِأَنَّهُ يَجْعَلُ صَاحِبَهُ لَا يَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءَ، فَتَصَرَّفَتْ مِنَ الْعَمَى مَعَانٍ كَثِيرَةٌ مُتَشَابِهَةٌ يُبَيِّنُهَا تَعْدِيَةُ الْفِعْلِ كَمَا عُدِّيَ هُنَا بِحَرْفِ «عَلَى» الْمُنَاسِبِ لِلْخَفَاءِ"(٢).

"فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ أصله فعموا عن الأنباء أي لم يهتدوا إليها، وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث استعير العمى لعدم الاهتداء ثم قلب للمبالغة فجعل الأنباء لا تهتدي إليهم وضمن العمى معنى الخفاء فعدي بعلى ولولاه لتعدى بعن ولم يتعلق بالأنباء لأنها مسموعة لا مبصرة، وفي هذا القلب دلالة على أن ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل إليه من الخارج ونفس الأمر إما ابتداء وإما بواسطة تذكر الصورة الواردة منه بأماراتها الخارجية فإذا أخطأ الذهن الخارج بأن لم يصل إليه لانسداد الطريق بينه وبينه بعمى ونحوه لم يمكنه إحضار ولا استحضار، وذلك لأنه لما جعل الأنباء الواردة عليهم من الخارج عميا لا تهتدي دل على أنهم عمي لا يهتدون بالطريق الأولى لأن اهتداءهم بها فإذا كانت هي في نفسها لا تهتدي فما بالك بمن يهتدي بها كذا قيل: فليتدبر.

وجوز أن يكون في الكلام استعارة مكنية تخيلية أي فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم، والمراد بالأنباء إما ما طلب منهم مما أجابوا به الرسل عليهم السلام وإما ما يعمها وكل ما يمكن الجواب به، وإذا كانت الرسل عليهم السلام

---

(١) ينظر: تفسير الجامع البيان عن تأويل اي القران، **،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ،بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م:** ٢٩٨/١٥.

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ: ١٦٢/٢٠.

يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك في ذلك المقام الهائل ويفوضون العلم إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤول فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم"(١).

وفي بيان معنى العمى قوله: فعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ أَيْ: خَفِيَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَجُ حَتَّى صَارُوا كَالْعُمْيِ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ، وَالْأَصْلُ فَعَمُوا عَنِ الْأَنْبَاءِ، وَلَكِنَّهُ عَكَسَ الْكَلَامَ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْأَنْبَاءُ: الْأَخْبَارُ، وإنما سمى حججهم أخبارا، لَمْ تَكُنْ مِنَ الْحُجَّةِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا هِيَ: أَقَاصِيصُ، وَحِكَايَاتٌ فَهُمْ لَا يَتَساءَلُونَ لَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ وَلَا يَدْرُونَ بِمَا يُجِيبُونَ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَكُونُ لَهُمْ عُذْرٌ، وَلَا حُجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لما نظروا في حال واقعهم في الدنيا لم يتحصل لهم فهم ببصيرتهم التي تدلهم على الخير فحكموا رغباتهم وعمو عن النظر في حال اخرتهم لهذا عميت عليهم أخبار الأمم السالفة وما حصل لها من العذاب والهلاك بسبب مخالفتهم لرسلهم(٢).

المطلب الثاني:
الذين يخطئون الطريق إلى الجنة

ذكر القرآن الكريم أن من أسباب العمى في الآخرة هو أن الإنسان يخطأ في الطريق إلى الجنة، وذلك عن طريق العمى، وهذا العمى له أسباب كثيرة منه هو الإعراض عن ذكر الله جل وعلا، ويتمحور العمى كذلك في إصابة الإنسان بالمعيشة الضنكى؛ لأنَّهُ سار في طريق العمى دون الرجوع إلى الله جل وعلا والتوبة إليه، فهو في الدنيا أعمى وفي الآخرة أعمى، فكانت النتيجة أنه أخطأ الطريق إلى الجنة، فقال جل وعلا: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾(٣).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي: ٣٠٩/١٠.

(٢) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠ه)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ه: ٢١٠/٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٧٢.

ذكر القرآن الكريم العمى في الدنيا وقرنه بالآخرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾(١).

العمى في الآية عمى البصيرة يعني فمن كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق لا يبصره ولا يلتفت إليه ولا يقبل عليه؛ فإنه في الآخرة يكون أشد عمىً وأضل سبيلاً فلا يهتدي إلى طريق أهل الجنة وإنما يكون مصيره النار والعياذ بالله، وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ النعم أَعْمى يعني الكافر، عمي عنها وهو معاينها فلم يعرف أنها من الله ﷻ فيشكو ربها فيعرفه فيوحده ﷻ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى يقول فهو عما غاب عنه من أمر الآخرة من البعث والحساب والجنة والنار أعمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا يعني وأخطأ طريقاً، مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى عَمَّا عَايَنَ فِيهَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ وَعَجَائِبِهِ فِيمَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَعْمَى(٢).

والعمى فِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنَ الضَّلَالَةِ وَهُوَ مَا يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ لَا مِنْ عَمَى الْبَصَرِ الَّذِي يَحْجُبُ الْمَرْئِيَّاتِ عَنْهُ وَقَدْ صَرَّحَ بِبَيَانِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾، وَعَلَى هَذَا فَالْأَوَّلُ اسْمُ فَاعِلٍ وَالثَّانِي أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنْ فَقْدِ الْبَصِيرَةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ وَالْمَعْنَى مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى مِنَ الْكُفَّارِ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ أَعْمَى فَلَا يَكُونُ أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ الْأَوَّلَ، على عَمَى الْقَلْبِ وَالثَّانِي عَلَى فَقْدِ الْبَصِيرَةِ(٣).

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٢.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى: ٥٤٢/٢ تفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢هـ: ٤٦١/٥.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م: ١٧٠/٤.

ومن كان في الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى كذلك وَأَضَلُّ سَبِيلاً من الأعمى: والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر. وأما في الآخرة؛ فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه، وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل، وهذا التشبيه إنما هو بيان حال من تركوا الحق والعمل به فان العذاب يكون مضاعف عليهم يوم القيامة فناسب أن يكون المقام كما ذكر الله ﷻ(١).

المطلب الثالث:
الذين أصبحت جهنّم لهم مستقر

من المشاهد الأخروية في العمى في القرآن الكريم مشهد الحشر عُمياً وبكماً وصمّاً، كما جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾(٢).

فآليات أو مواطن الإدراك البشري عطلت يوم الحشر وليس هذا فحسب بل شكلت لهم جهنم المأوى منزلاً ومستقراً، وفي هذا استعارة تهكمية فالمأوى يصح التعبير به في مواطن الكرامة والاستقرار لكن اطلق هنا تجوزاً للنكاية والتشفي أو للسخرية والتهكم، ومن شأن هذا الأسلوب القرآني تحقيق دلالته البليغة المؤثرة في المتلقي إذ إن التضاد الحاصل عن طريق العكس في الكلام يحقق إيصال معنى الآية على نحو اشد وقعاً وأكثر إيغالاً في النفس المتلقية لما فيه من الإبدال التهكمي والسخرية اللاذعة(٣).

وهذا بدوره حقق مفاجأة للكافرين مما يزيد من عذابهم المعنوي وبذلك أصبحت جهنم مستقراً لهم كلما خبت زيد الكافرون سعيرا وفي هذا إشكال لان جهنم لا تخبو لأنها تستعر بالكافرين فهم وقودها، ففي البداية أطماع كلما خبت لكنه مسفر

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري: ٦٣٨/٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩٧.

(٣) ينظر: الكناية في القرآن الكريم، أحمد فتحي: ص٢٠٣.

عن خيبة؛ لأن ازدياد السعير مقترناً بكل زمان من أزمنة الخبو في الظاهر، ولكنه يؤول إلى يأس منه إذ يدل على دوام سعيرها في كل الأزمان(١).

عمياً وبكماً وصماً كما كانوا في الدنيا لا ينتفعون بأبصارهم ولا نطقهم ولا أسماعهم، بل يكون ضرراً عليهم لما ينظرون من المعاطب، ويسمعون من المصائب، وينطقون به من المعايب؛ وقيل: إذ يحشر المرء على ما مات عليه، فلم يجد له في الآخرة شيء إلا حصل أوله ومبدأه في الدنيا وتمامه في الآخرة(٢).

وهذا استطراق لوسائل الإهانة، ففضلاً عن مَشْيهم على الوجوه فهم عُمْي لا يروْنَ شيئاً، ولا يهتدون، وهم صُمٌّ لا يسمعون نداءً، وهم بُكْمٌ لا يقدرون على الكلام، ولك أنْ تتصوَّر إنساناً جمعت عليه كل هذه الوسائل ليس في يوم عادي، بل في يوم البعث والنشور، فإذا به يُفَاجأ بهْول البعث، وقد سُدَّت عليه جميع منافذ الإدراك، فهو في قلب هذا الهَوْل والضجيج، ولكنه حائر لا يدري شيئاً، ولا يدرك ما يحدث من حوله، ولنا هنا لفتة على هذه الآية، فقد ورد في القرآن كثيراً: صُمٌّ بُكْم بهذا الترتيب إلا في هذه الآية جاءت هكذا: «وَبُكْماً وَصُمّاً» ومعلوم أن الصَّمَم يسبق البَكَم؛ لأن الإنسان يحكي ما سمعه، فإذا لم يسمع شيئاً لا يستطيع الكلام واللغة بنت السماع، وهي ظاهرة اجتماعية ليستْ جنساً وليست دَمَاً، وأن الحكمة في وصفهم بالعمى في هذا الموقف يعني مصيرهم الآخرة في حشرهم عمّياً وصمّاً فهم في هذه الحالة استحقوا الاستقرار في جهنم وساءت مصيرا(٣).

المطلب الرابع:

الذين يحشرون غير مبصرين

من مؤشرات العمى في القرآن الكريم يوم القيامة هو العمى في يوم الحشر فذلك أن الله ﷻ وضع قواعد تشبه القوانين هذا الذي دفع إلى تسمية هذه القواعد في

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢١٨/١٥.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٤٢٨/٤.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي «الخواطر»، محمد متولي الشعراوي، (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم: ٧٨٦٠/١٤.

القرآن الكريم: قوانين القرآن الكريم، فلكل وضع مصيري خطير في حياة الإنسان قانون ثابت، له مقدمات وله نتائج، من هذه القوانين: قوانين المعيشة الضنكا، عيش الشقاء، عيش الضياع عيش الإحباط، عيش الإخفاق، عيش التطرف عيش الانهيار، المعيشة الضنكا لها قانون، فنجد آية في كتاب الله تشير إلى المعيشة الضنكا كقانون، فيقول جل في علاه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[١]، أعمى البصيرة يعني أعمى عن الحجة فذلك؛ أي عن حجتي وأن الله لا يلهمه الحجة لكي ينطق بها[٢]، "وللحشر على العمى الذي لا يزول أبداً أشدّ من ضيق العيش المنقضي، أو أراد: ولتركنا إياه في العمى أشدّ وأبقى من تركه لآياتنا".[٣]، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى: هَذَا إِنَّهُ يُحْشَرُ بَصِيرًا فَإِذَا سِيقَ إِلَى الْمَحْشَرِ وعَمِيَ: يَعْنِي أَعْمَى عَنِ الْحُجَّةِ، وقَوْلُهُ: وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فِي حَالِ الدُّنْيَا أَقُولُ وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا الِاعْتِرَاضَ أَنَّهُ تَعَالَى عَلَّلَ ذَلِكَ الْعَمَى بِمَا أَنَّ الْمُكَلَّفَ نَسِيَ الدَّلَائِلَ فِي الدُّنْيَا فَلَوْ كَانَ الْعَمَى الْحَاصِلُ فِي الْآخِرَةِ بَيْنَ ذَلِكَ النِّسْيَانِ لَمْ يَكُنْ لِلْمُكَلَّفِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ضَرَرٌ، كَمَا أَنَّهُ مَا كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِسَبَبِ ذَلِكَ ضَرَرٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ تَحْقِيقَ الْجَوَابِ عَنْ هَذَا الِاعْتِرَاضِ مَأْخُوذٌ مِنْ أَمْرٍ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ الْجَاهِلَةَ فِي الدُّنْيَا الْمُفَارِقَةَ عَنْ أَبْدَانِهَا عَلَى جَهَالَتِهَا تَبْقَى عَلَى تِلْكَ الْجَهَالَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ تِلْكَ الْجَهَالَةَ تَصِيرُ هُنَاكَ سَبَبًا لِأَعْظَمِ الْآلَامِ الرُّوحَانِيَّةِ.

والْمُرَادُ مِنْ حَشْرِهِ أَعْمَى أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى طَرِيقٍ يَنَالُ مِنْهُ خَيْرًا بَلْ يَبْقَى وَاقِفًا مُتَحَيِّرًا كَالْأَعْمَى الَّذِي لَا يَهْتَدِي إِلَى شَيْءٍ أي إن الله وصفهم بالعمى في الآخرة عند اعتراضهم على حشرهم غير مبصرين[٤]، عمي عليه كل شيء إلا جهنم، ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة

(١) سورة طه، الآية ١٢٤.
(٢) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى: ص٢٣.
(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري: ٩٦/٣.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، للرازي: ١١١/٢٢.

أيضا، ولهذا يقول: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾، أي في الدنيا، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾، أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك، تناسيتها وأعرضت عنها فأغلقت بصرك عن فهم الحق وعميت بصيرتك وصرت الى هذا الحال الذي أنت ترى من العمى(١).

المطلب الخامس:
الذين ادارك علمهم في الآخرة وكانوا ينكرون البعث

من المشاهد الأخروية من آيات العمى تأخر علمهم فبقوا مترددين بشكهم وختم عليهم بالعمى؛ فجاء التعبير القرآني قاصماً لهم بل هم منها عمون فهذا التدارك حَصَلَ لَهم عِلْمُهم بِوَقْتِ بَعْثِهِمْ في اليَوْمِ الَّذِي يُبْعَثُونَ فِيهِ، أيْ يَوْمَئِذٍ يُوقِنُونَ بِالبَعْثِ، فَيَكُونُ فِعْلُ المُضِيِّ مُسْتَعْمَلًا في مَعْنى التَّحَقُّق، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾(٢)، "وما يشعرون أيان يُبْعثون، بل يشعرون ذلك في الآخرة، فالكلام إذا كان ذلك معناه، وما يشعرون أيان يبعثون، بل ادرك علمهم بذلك في الآخرة، بل هم في الدنيا في شك منها(٣).

وأما على قراءة من قرأه «بَلِ ادَّارَكَ» عن مجاهد(٤)، وهو أن يكون معنى بل: أم والعرب تضع أم موضع بل، وموضع بل: أم، إذا كان في أول الكلام استفهام، فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل تدارك علمهم في الآخرة: يعني تتابع علمهم في الآخرة: أي بعلم الآخرة: أي لم يتتابع بذلك ولم يعلموه، بل غاب علمهم عنه، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه، "﴿بلِ ادَّارَكَ﴾: أي

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢٨٤/٥.

(٢) سورة النمل، الآية ٦٦.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القران، للطبري: ١١٠/١٨.

(٤) مُجاهِد بْن جَبْر (ت١٠٤هـ) مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي، ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد، وهو إمامٌ وفقيه وعالمُ ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي، ينظر: الطبقات، لابن سعد: ٧٨/١.

استحكم عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أي في شأنها والمعنى: أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم، ومكنوا من معرفته، وهم شاكون جاهلون. ومن ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها﴾، أي شاكون في وجودها ووقوعها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ أي في عماية وجهل كبير في شأنها وأمرها(١)، ووجه ملائمة مضمون هذه الآية، وهو وصف المشركين بإنكارهم البعث، مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله، وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب، وأن العباد لا علم لهم بشيء منه، أنه لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب، وكان هذا بيانا لعجزهم، ووصفهم لقصور علمهم وعدم بعد نظرهم، وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه، وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه، واستحكام العلم به، وقد وصفهم الله بهذه الموصوفات لأنهم أدركوا مطاف العمى الموصوفون به فلم يستطعيوا إدراك العلم في الآخرة فوقعوا في الشك والحيرة والاضطراب، فكانت النتيجة العمى واستحوذت عليهم الظلمات فلم يروا النور بعدها(٢).

(١) ينظر: تفسير البغوي: ٤٢٦/٢، والأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ: ٤٠٣٥/٧.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوّى: ٤٠٣٥/٧.

الخاتمة

١. من الموضوعات الواردة في القرآن الكريم والآيات المتعلقة بالموصوفين بالعمى هي فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ.

٢. موضوع العمى والصمم، إذا قال الله: الأعمى والأصم، فالمقصود هنا العمى المعنوي، والصمم أيضاً كون الإنسان لا يسمع الحجة ولا يسمع الحكمة، ولا يستفيد منها، نعم يوجد مواضع ذكر فيها العمى الحسي في القرآن.

٣. وجاءت نتائج البحث مؤكدة على أن لفظ العمى يتفق في الستر والتغطية والالتباس والاختلاط والاشتباه، إما للبصر وإما للبصيرة.

٤. بعض الناس يستحب العمى على الهدى، فجزاهم الله (عز وجل) عذاب الهون بما كانوا يكسبون.

٥. أن الله ﷻ زود الإنسان بوسائل التفكير وكرمه في الأرض، حتى رسم له طريقاً واضحاً ليبصر طريقه، فالبصير الذي أبصر طريق الحق، والأعمى هو الذي غرق في الظلمات ليس بخارج منها من هذا نرى أن أغلب الاستعمالات التي وردت في القرآن الكريم لمادة العمى أريد بها عمى القلب والعقل والروح لا عمى البصر.

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. آراء ابن القيم حول الإعاقة، إعداد: عبد الإله بن عثمان الشايع، دار الأصمعي، د.ت.

٢. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

٣. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

٤. تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٦. تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٧. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٨. تفسير السلمي «حقائق التفسير»، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري أبو عبد الرحمن السلمي (ت٤١٢هـ)، تح: سيد عمران، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩. تفسير الشعراوي «الخواطر»، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، د.ت.

١٠. تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت١١٣٧ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١١. تفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢هـ.
١٢. تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى.
١٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
١٤. التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، إعداد: عبد الوهاب محمود إبراهيم، «رسالة ماجستير»، كلية الدراسات العليا/ جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩م.
١٥. التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر عبد الكريم العقل، السعودية، الرياض، ١٣٩٤ه-٢٠١٠م.
١٦. جامع البيان عن تأويل القران، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.
١٨. الذخيرة، شهاب الدين بن إدريس القرافي، تح: محمد حجي، دار الغرب بيروت، ط١، د.ت.
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥ه.

٢١. صورة السماء والأرض في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، نوال علي عبدالرحمن خضر، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

٢٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٤. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٥. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ه

٢٦. لطائف الإشارات «تفسير القشيري»، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، د.ت.

٢٧. من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، النّجار زغلول راغب محمد، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٨. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٩. المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ١٤٣٦هـ.
٣٠. المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥ه)، تح: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ه-١٩٩٧م.
٣١. معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤ه)، عالم كتب، ط١، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.
٣٢. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٣. الهداية النفسية، في ظل القرآن الكريم، د. طه ياسين كاظم الدليمي، د.ت.

تم بحمد الله

References:

- *Abu Zahra, M. "The History of Controversy", Dar Al-Fikr Al-Arabi for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 2nd edition, (1426 AH-2005)*
- *Al-Afriqi, I. "Lisan Al-Arab", (T: 711 AH), Dar Sader - Beirut, 3rd Edition, 1414)*
- *Al-Aql, N. "Tradition and dependency and their impact on the entity of the Islamic nation", Saudi Arabia, Riyadh, (1394 AH-2010)*
- *Al-Asma'I, I. "Ibn al-Qayyim's views on disability", Dar Assalam, Cairo (1424 H)*
- *Al-Basri, A. "Al-Ain", (d.: 170 AH), investigation: Dr. Mahdi al-Makhzoumi, d. Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal Library and House.*
- *Al-Dulaimi, T. "Psychological guidance, in the light of the Holy Quran", D. T.*
- *Al-Isfahani, A. "Interpretation of Al-Raghib Al-Isfahani", (d. 502 AH), edited by: Dr. Mohamed Abdel Aziz Bassiouni, Faculty of Arts, Tanta University, 1st edition, (1420 AH-1999)*
- *Al-Najjar, R. "From the verses of scientific miracles, The Earth in the Holy Qur'an", Zaghloul Ragheb Muhammad, for printing, publishing and distribution, Beirut, Lebanon, (1426 AH-2005)*
- *Al-Qarafi, S. "Al-Dhakhira", Dar Al-Gharb Beirut, 1st Edition, Dr. T.*
- *Al-Qushairi, A. "Lataif al-Isharat "Tafsir al-Qushairi". (d. 465 AH), edited by: Ibrahim al-Basiouni, the Egyptian General Book Authority, Egypt, 3rd edition, d.t.*
- *Al-Razi, Z. "Mukhtar Al-Sahah", (d. 666 AH), edited by: Yusuf Al-Sheikh Muhammad, Al-Maktaba Al-Asriyyah, Al-Dar Al-Namothaziah, Beirut, Saida, 5th edition, (1420 AH-1999)*
- *Al-Shafi'i, S. "Al-Siraj Al-Munir in Helping to Know Some Meanings of the Words of Our Lord, the Wise, the Expert", (d. 977 AH), Bulaq Al-Amiri Press, Cairo, (1285)*
- *Al-Tunisi, M. "Interpretation of Al-Madhari", Al-Rushdia Library, Pakistan, (1412 H)*
- *Alusi, S. "The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Muthani". (d. 1270 AH), edited by: Ali Abd al-Bari Attia, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, (1415)*
- *Al-Yamani, M. "Fath al-Qadeer". (d. 1250 AH), Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalam al-Tayyib, Damascus, Beirut, 1st edition, (1414)*
- *Al-Zarkashi, A. "Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an", (d. 794 AH), edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Isa al-Babi al-Halabi and his partners, The House of Revival of Arabic Books, 1st edition, (1376 AH-1957)*
- *Al-Zuhaili, W. "The Enlightening Interpretation of Creed, Sharia and Methodology", Dar Al-Fikr Al-Moaser, Damascus, 2nd edition, (1418)*

- *Bin Mustafa, A. "Interpretation of Abi Al-Saud, "Guiding the Sound Mind to the Advantages of the Holy Book," (d. 982 AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut.*
- *Daa'im, A. "Al-Durr al-Masun fi Ulum al-Kitab al-Maknoun" (d. 756 AH), edited by: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus.*
- *Hanafi, I. "Interpretation of the spirit of the statement", (d. 1137 AH), the Arab Heritage Revival House, Beirut, d.t.*
- *Hawa, S. "The Basis of Interpretation", (d. 1409 AH), Dar Al-Salam, Cairo, 6th Edition, (1424)*
- *Ibrahim, M. "Thinking and its development in the light of the Holy Qur'an". "Master Thesis, College of Graduate Studies. An-Najah National University, Nablus, Palestine, (2009)*
- *Khader, N. "The Image of Heaven and Earth in the Holy Qur'an, a rhetorical study", College of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.*
- *Numani, A. "Al-Labbab fi Ulum al-Kitab", (d. 775 AH), edited by: Sheikh Adel al-Mawgoud and Sheikh Ali Moawad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st edition, (1419 AH-1998)*
- *Omar, A. "A Dictionary of Contemporary Arabic", (d. 1424 AH), a scholar of books, 1 edition, (1429 AH-2008)*
- *Salami, M. "Al-Salami's interpretation, "Facts of Interpretation", House of Scientific Books, Beirut (2001)*
- *Shaarawi, M. "Al-Shaarawi's interpretation of "Al-Khawatir", (d. 1418 AH), Akhbar Al-Youm Press.*
- *Tabari, M. "Jami al-Bayan on the interpretation of the Qur'an" (d. 310 AH), edited by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki. Center for Islamic Research and Studies, Dar Hajar for printing and publishing And distribution and advertising, 1st edition, (1422 AH-2001)*
- *Tafsir Muqatil" Abu Al-Hasan Muqatil bin Suleiman bin Bashir al-Azdi al-Balkhi.*
- *The Brief in the Interpretation of the Holy Qur'an", A group of scholars of interpretation, supervision: Interpretation Center for Quranic Studies, 1st edition, (1436)*
- *The team in the interpretation of the Noble Qur'an, a committee of Al-Azhar scholars, the Supreme Council for Islamic Affairs, Egypt, Al-Ahram Foundation, 18th edition, (1416 AH-1995)*
- *Tunisi, M. "Liberation and Enlightenment "Liberation of the Right Meaning and Enlightenment of the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", (d. 1393 AH), the Tunisian Publishing House, Tunis, (1984)*
- *Tusi, M. "Al-Mustafa fi Ilm al-Usool", (d. 505 AH), edited by: Muhammad bin Suleiman al-Ashqar, Al-Risala Foundation, Beirut, Lebanon, 1st edition, (1417 AH-1997)*